الوحدة الإيطالية والوحدة الألمانية دراسة تاريخية مقارنة

أحمد بن يحيى بن أمين كردي

الرقم الجامعي:(١٧٠١٢٢٠)

قسم التاريخ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبد العزيز

جدة – المملكة العربية السعودية.

الملخص:

يتناول هذا البحث تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر؛ والذي نالت فيه بعض الدول الأوروبية استقلالها كما حدث في إيطاليا وألمانيا. فقد نجح مازيني وغاريبادي وكافور في تحقيق الوحدة الإيطالية بينما برز بسمارك في تحقيق الوحدة الألمانية. وقد قسمت البحث إلى ثلاثة محاور رئيسة. أولاً: الوحدة الإيطالية، ثانيًا: الوحدة الألمانية؛ مبيناً عواملهما ومسبباتهما والطرق التي اتخذتها الدولتين في سبيل تحقيق الوحدة. والمحور الثالث: يتناول عقد المقارنة والدراسة التحليلية لكلا الوحدتين مبيناً أوجه الشبه والاختلاف بينهما.

وقد تواصل البحث إلى عدة نتائج مهمة، منها: إن الوحدة الإيطالية اعتمدت على كافور بشكل كبير والذي اتخذ من الحنكة والدهاء السياسي أهم العوامل الأساسية في تحقيق الوحدة، ومن ثم فقد لجأ للاستعانة بالجانب العسكري الفرنسي في الحرب ضد النمسا. بينما اعتمدت الوحدة الألمانية على القوة العسكرية. ومن ثم فقد لجأ بسمارك للأمور السياسية في تحييد الدول الأوروبية.

Research Summary

This research deals with the history of Europe in the nineteenth century. In which some European countries gained their independence, as happened in Italy and Germany. Mazzini, Garlibadi and Cavour succeeded in achieving Italian unity, while Bismarck emerged as the leader in achieving German unity. The research was divided into three main axes. First: Italian unity, Second: German unity.

Explaining their factors and their causes, and the methods the two countries took to achieve unity. The third axis: deals with the comparison contract and the analytical study of both units, indicating similarities and differences between them.

The research continued to several important results, including: The Italian unit depended on Camphor to a large extent, which took on sophistication and political savvy as the most basic factors in achieving unity, and then resorted to the French military side in the war against Austria. While the German unit relied on military strength. Hence, Bismarck resorted to political matters to neutralize European countries.

المقدمة

يعتبر تاريخ أوروبا من أهم المحاور الرئيسة في دراسة تاريخ العالم الحديث والمعاصر. فقد لعبت أوروبا دوراً كبيراً في تاريخ العالم وبخاصة في العصر الحديث. لقد ظهرت حركة النهضة الأوروبية التي خلفت أثاراً كبيرة في أوروبا ومنها قامت حركة الكشوفات الجغرافية والثورة الصناعية. إلا أن المجال الأهم في هذا البحث هو الثورات الأوروبية وما نتج عنها من نتائج أثرت في بعض الدول الأوروبية. ففي عام ١٨٤٨م انطلقت الثورة الأوروبية في فرنسا والتي تصدت لها الدول الرجعية وسيطرة عليها بالقوة والاستبداد، ولكن بقيت أثار تلك الثورات في الحياة الاجتماعية لدى العديد من الدول الأوروبية. لقد تميز القرن التاسع عشر في أوروبا بأن نالت بعض الدول الأوروبية استقلالها كما حدث في إيطاليا وألمانيا في مواجهة حكم النمسا المستبد. فنجح في إيطاليا مازيني وغاريبادي وكافور في تحقيق الوحدة الإيطالية بينما برز بسمارك في تحقيق الوحدة الألمانية. وسوف يقوم البحث على ثلاث محاور رئيسية. أولاً الوحدة الإيطالية ثم الوحدة الألمانية مبيناً عواملها ومسبباتها والطرق التي اتخذتها الدولتين في سبيل تحقيق الوحدة . والمحور الثالث والأخير سيعرض مقارنة وتحليل لكلا الوحدتين مبيناً أوجه الشبه والاختلاف فيما بينهم.

المحور الأول: الوحدة الإيطالية نبذة عن إيطاليا:

كان للحملة التي شنتها فرنسا لضرب النمسا في ١٧٩٥م بقيادة الجنرال نابليون أثر إيجابي في إحياء الشعور القومي الإيطالي في إعادة توحيد البلاد. فعندما عبر الجيش الفرنسي الحدود الإيطالية لضرب النمسا وحليفتها سردينيا أجبرهم على عقد صلح تنازلت فيه النمسا عن نيس وسافواي لفرنسا التي احتلت أيضاً لمبارديا وميلانو ومانتوا، كما استسلمت الدولة البابوية وجمهورية البندقية لفرنسا. وبالنتيجة فما أقدم عليه نابليون وجنوده في إيطاليا إذ كان معظم أفراد الجيش من الشباب المؤمنين بمبادئ الحرية وقاموا بنشر مبادئهم في إيطاليا، أيضاً ما قاله نابليون للشعب الإيطالي إن فرنسا صديقة إيطاليا وجاءت لتخفيف معاناتهم من الظلم والاستبداد. كما أن الجمهورية السيزالبية التي أقامها نابليون كانت مدرسة تعلم الشعب الإيطالي مبادئ الحرية والمساواة التي أتت بها الثورة الفرنسة وتعزز فيهم الشعور بالواجب الوطني[١].

كان من ضمن قرارات مؤتمر فينا ١٨١٥م إعادة إيطاليا إلى سابق عهدها أي قبل حروب الثورة ونابليون. فتم إعادة الحكام المبعدون كالبابا وملك نابولي ودوق تسكانيا. بالإضافة إلى ذلك فقد صدرت بعض التعديلات على الولايات الإيطالية ومن أهما تقوية مملكة سردينيا وذلك بضم جنوة إليها لتقف ضد فرنسا وكذلك ضم البندقية وساحل دالماشيا الأدرياني للنمسا تعويضاً لها عن فقدان بلجيكا. ولقد تجاهلت قرارات مؤتمر فينا رغبات الشعب الإيطالي المنحصرة في عدم رغبتهم لجيرانهم النمساويين وكذلك رغبتهم في تحقيق مبادئ الثورة الفرنسية والأنظمة الدستورية الحرة للشعب الإيطالي[٢].

الولايات الإيطالية:

كانت إيطاليا إلى وقت قيام الثورة لفرنسية في ١٧٨٩م مقسمة إلى عدة ممالك ودويلات أبرزها:

- الممالك: نابولي–بيدمنت.
- الدوقيات: ميلان– تسكانا– بارما–لوكا.
- الجمهوريات: البندقية– جنوة– موناكو– سان مارينو.
- الولايات البابوية: المارش– أمبريا– رومانا.

وظلت إيطاليا إلى ذلك العهد مفككة لا يمكن أن تحقق الوحدة للأسباب التالية:

١. وجود الأسرة النمساوية في الشمال.

٢. الملوك البوربون الأسبان في الجنوب.
٣. رغبة البابا في الحفاظ على السلطة.
٤. المنافسة القديمة بين الشعب الإيطالي.

كان للثورة الفرنسية بالغ الأثر في نشر أفكارها التي تجمع الحرية والمساواة والإخاء لدى الشعب الإيطالي وما قام به نابليون من تنظيم جديد للولايات إلى ثلاثة ممالك هي:

- مملكة إيطاليا ١٨٠٥م التي تضمنت لمبارديا والبندقية والجزء الشمالي من ساحل الأدرياتيك.
- مملكة نابولي ١٨٠٦ م وتضمنت الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة.
- مملكة بيدمنت التي شملت أجزاء كبيرة من الساحل الغربي لشبه الجزيرة وضمت إلى فرنسا ما بين ١٨٠٢م-١٩٠٨م.

وبذلك فقد أسس نابليون الدولة الحديثة في إيطاليا وأصلح النظام الإداري وحث الشعب على تشكيل أمة قوية موحدة. غير أن قرارات مؤتمر فينا وقفت ضد فرنسا وأجهضت هذه الرغبات وذلك بضم بلجيكا إلى هولندا لمواجهة فرنسا وضم جنوة إلى سردينيا لمنع فرنسا من غزو إيطاليا وقد قسم المؤتمر إيطاليا إلى أقسام متعددة وأعاد حكامها السابقين [٣].

بعد تقسيمات مؤتمر فينا أصبحت إيطاليا مقسمة إلى أربعة أقسام رئيسة:

- في الشمال قامت مملكة صغيرة وفقيرة وهي مملكة سردينيا أو البيامون وضمت سردينيا والسافواي وجنوة وعاصمتها تورينو ويحكمها فيكتور عمانويل من عائلة سافواي.
- في الشمال الشرقي قامت اللومبارديا والبندقية وهما غنيتين بثرواتهما وموقعهما الجغرافي وتحكم بحكم مباشر من النمسا.
- في الوسط كانت دولة البابا وبها حامية فرنسية ويحيط بها دويلات صغيرة وفقاً لقرارات مؤتمر فينا وهي بارم وموديا وتوسكانة ويحكمها حكام موالين للنمسا.
- في الجنوب تقع مملكة الصقليتين وتضم القسم الجنوبي من شبه الجزيرة وجزيرة صقلية وعاصمتها نابولي ويحكمها البوربون بالحكم الرجعي الاستبدادي[٤].

العوامل التي أثرت في إيطاليا لتحقيق الوحدة:

١. عندما هاجم نابليون نابولي الأول لأول مرة قاومه الأهالي مقاومة قوية مما أثار فيهم روحاً وطنية جديدة.

٢. محاولة مورا حاكم نابولي في نهاية إمبراطورية نابليون الأول (١٨١٤/١٨١٥م) في إقامة إيطاليا الموحدة مما أثار المشاعر الوطنية نحو الوحدة بالرغم من إعدامه.
٣. عند انسحاب فرنسا من إيطاليا بعد هزيمة نابليون شعر الايطاليين بقيمة مبادئ الثورة الفرنسية (الحرية والمساواة) خصوصاً عند عودة الحكومة البابوية إلى ولايتها بنفس الأساليب العنيفة التي لا تلائم الفكر التقدمي في ذلك الوقت.
٤. قضاء النمسا على الثورتين التي قامت في بيدمنت ونابولي والتي هدفت إلى تطوير نظام الحكم نحو الحياة الدستورية.
٥. اضطهاد النمسا وملك نابولي فرديناند الثاني لدعاة الوحدة الإيطالية.
٦. ظهور الجمعيات السرية التي تدعوا الشعب إلى العمل من أجل وحدة بلادهم[٥] .

الجمعيات السرية في إيطاليا

نشأت الجمعيات السرية في إيطاليا بسبب سياسة النمسا والمتمثلة في رئيس الوزراء (مترنخ) في تقييد الحرية والتي أثرت في جميع أنحاء إيطاليا، واعتمدت الجمعيات على إزالة الفوارق بين الشعب في مختلف الولايات ضد الاستبداد والاحتلال الأجنبي. ويمكن عرض الجمعيات كما يلي:

أولاً: حركة البعث:

كان من أبرز الجمعيات في إيطاليا حركة البعث التي لعبت فيها الحركة الثقافية دوراً بارزا لا يقل أهمية عن الدور العسكري والاقتصادي للتمهيد لقيام الوحدة الإيطالية. لقد اعتمد رجال الحركة الثقافية على أنواع مختلفة من الفنون لإعادة ماضي إيطاليا المتحد لأذهان الشعب. فكانت قصائد (نوسكان جوزيف جوستي) النقدية التهكمية، ومسرحيات (نيكولي) الغنائية المثيرة للاستقلال، وقيام المؤرخين الايطاليين بجهود مميزة في تفسير أسباب تفكك إيطاليا إلى وحدات سياسية متنافرة مؤكدين في نفس الوقت على أهمية وقيمة إيطاليا المتحدة في الدور الحضاري الكبير في التاريخ الحديث. ومن جهة أخرى كان هناك إيطاليون مهاجرون في فرنسا على اتصال دائم بالحركة الفرنسية الثقافية المتحررة على ارتباط وثيق بحركة البعث لدعمها في التحرر والمواطنة القومية[٦].

ثانياً: جمعية الكاربوناري:

ظهرت جمعية الكاربوناري (الفحامين) وهي جمعية سرية تشبه إلى حد كبير الماسونية في مراسيمها وتشكيلاتها وقد ظهرت في نابولي ثم في بيدمنت وبارما ولومبارديا وكان لتعاليمها الديموقراطية الاشتراكية ونزعتها المسيحية دور في إيجاد أنصار لها من الأحزاب المختلفة. قامت الجمعية بثورة في نابولي ١٨٢٠م ضد الملك فرديناند وفي بارما والولايات البابوية في ١٨٣١م وتكمنت النمسا من اخمادها. وبالنتيجة فقد فشلت الجمعية في تحقيق أهدافها وذلك بسبب عدم وجود برنامج سياسي مدروس قائم على أسس سياسية في تنظيم أمور الجمعية للقيام بأدوارها تجاه الوحدة والتخلص من الاستبداد ونفوذ النمسا[٧].

ثالثاً: إيطاليا الفتاة:

بعد فشل الكاربوناري قام تنظيم جديد وهو إيطاليا الفتاة على يد مازيني (١٨٠٥-١٨٨٢م) والذي كان عضواً في الكاربوناري ونفي في ١٨٣١م. اتصف مازيني بالإيمان بالوحدة والمشاعر الوطنية والقدرة على اجتذاب المشاعر. وقد أرجع مازيني فشل الكاربوناري إلى عدم وجود برنامج منظم ومبادئ تسير عليها الجمعية في تحقيق الآمال الوطنية. لذلك أنشأ جمعية إيطاليا الفتاة وجعل شعارها المساواة بين الجانب الديني والوطني (الله والشعب) ونجح في تجنيد الشباب الذين لا تتعدى أعمارهم أربعين سنة ليضيف على الجمعية الحماس والقوة لمضاعفة انتشار أفكاره. لقد اعتمد مازيني على إعادة أمجاد إيطاليا عن طريق إشعال الوطنية في قلوب الشباب مذكراً بأهمية إيطاليا مركز المسيحية وأرض النهضة ومبعث النور والحرية. فلم تكن الجمعية مجرد حزب سياسي بل شكلت عقيدة تقوم على الإيمان وترتكز على التضحية. لقد وجه مازيني غضب ومعاناة الشعب من بؤس وشقاء إلى الاحتلال النمساوي وأنه لا سبيل لتغيير هذا الحال إلا بالحرب وإخراج النمسا إلى وراء الألب لإقامة حكومة جمهورية قومية توفر الحرية لشعبها. وقد لقيت أفكاره استجابة كبيرة بين عامة الشعب وبعض الأوساط الحاكمة ومنهم شارل ألبرت الذي أشار عليه مازينيي عندما تولى حكم بيدمنت في ١٨٣١ م لتحرير إيطاليا إلا أن ألبرت رفض الأمر وتم اغتياله وزج باسم مازيني بين المتآمرين مما دعاه إلى الهرب إلى بريطانيا دون أن يحقق آماله. وبذلك تعتبر أفكار مازيني النواة الأولى في بث العقيدة في نفوس الإيطاليين التي حركت مشاعرهم الوطنية[٨].

إن من أهم الرواد الأوائل لإيطاليا الفتاة وأحد تلاميذ مازيني الذي تأثر كثيراً بأراء قائده هو غاريبادي وكان في المنفى في أمريكا الجنوبية وبدأ في أعماله الوطنية والتحريض على الثورة من هناك وأسس جماعة (القمصان الحمر). وبذلك فقد انتشرت أفكار مازيني وغاريبادي بين الأوساط الإيطالية وتأثر بها البابا بيوس التاسع ١٨٤٦ م الذي كان متعاطفاً مع آمال وألام الشعب وأصدر حكمه بالإعفاء عن المسجونين الوطنيين في الأراضي البابوية وقام بعدة إصلاحات إدارية واقتصادية وأطلق حرية الصحافة وقد أطلق عليه (بابا الوحدة الايطالية). كذلك تأثر الملك شارل ألبرت ١٨٤٧م بآراء الجمعية ووقف بجانب الأحرار بالإضافة إلى قيام ليوبولد الثاني في توسكانة بإطلاق الحريات وإلغاء الاستبداد الأمني[٩].

العوامل التي ساعدت في تكوين الوحدة:

١. الحدود الجغرافية بين الولايات الإيطالية.
٢. لم يكن في إيطاليا عناصر أجنبية، فكان الايطاليين تربطهم تقاليد وطبيعة وطنية وحركات تاريخية واقتصادية مشتركة مما أوجد وحدة في العقيدة واللغة.
٣. ارتباط الأهالي بشعور الافتخار بماضيهم وأمجادهم في الإمبراطورية الرومانية الأمر الذي ساهم في الدعوة إلى القومية والوحدة الوطنية طوال القرن التاسع عشر.

غير أن ما ينقص هذه العوامل لتكامل الوحدة هو القوة السياسية التي تستطيع أن تؤلف بين الولايات لقيام الوحدة[١٠].

إن العوامل الاقتصادية كانت من أهم الأسباب التي ساعدت على تكوين الوحدة الإيطالية. فالعوائق الاقتصادية التي واجهها أصحاب العمل كالقوانين والأنظمة الاقتصادية المطبقة في ولاية دون غيرها بالإضافة إلى اختلاف العملة والموازين في الولايات أدى إلى المطالبة القومية بالحرية الاقتصادية. فلم يكن أصحاب العمل راضين عن الانفصال الاقتصادي بين الولايات ودفع الضرائب الجمركية في حين أن الإنتاج الصناعي كان ينمو ويزداد ويحتاج إلى أساليب اقتصادية حديثة وانفتاح بين الولايات فكل ولاية بحاجة إلى ولاية أخرى. فتولدت الحاجة إلى إنشاء سكك حديدية من الشمال للجنوب وليس في مقدرة أي ولاية تحمل تكاليف المشروع. ولهذا ظهرت سلسلة من المؤتمرات التي من أهمها مؤتمر العلوم التطبيقية في أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر والذي ضم أصحاب الأعمال والتجارة في مختلف الولايات. وكان من مطالب المؤتمر توحيد العملة والمقاييس والموازين وتكوين رابطة للمزارعين وإلغاء التعرفة الجمركية. إلا أن المؤتمر واجه العديد من العوائق أهمها:

١. النمو الاقتصادي في سردينيا والتي كانت بعيدة عن التدخل النمساوي.
٢. خضوع ميلانو للسيطرة النمساوية المباشرة.
٣. التخلف الصناعي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي في الأجزاء الجنوبية.

وبذلك فقد ناقش المؤتمر هذه الوضاع وطالب بالوحدة الاقتصادية لأن مطامع النمسا شملت إيطاليا كلها وتتعارض مع مستقبل إيطاليا الاقتصادي[١١].

الصعوبات التي واجهت قيام الحركة القومية في إيطاليا:

١. سيطرت النمسا على الحكم لضمان عدم قيام دولة ذات نظام جمهوري.
٢. الانفصال الاقتصادي بين الولايات، فكان لكل ولاية سوقها الخاص منعزلاً عن الأسواق الأخرى ويفصل بين كل إقليم حاجز الضرائب الجمركية، كما أنه لا توجد عملة مشتركة أو موازين ومقاييس موحدة بين الولايات.
٣. أثر الحياة الاجتماعية في التفكك والعزلة حيث شغل ٦٠% من الايطاليين في الزراعة بطريقة بدائية من غير نظام زراعي مما أدى إلى انعدام النشاط السياسي الذي ركز على فئة المزارعين في ١٨٣٠ م على يد جمعية إيطاليا الفتاة.
٤. وجود فئة من رجال الدين والقسيسين تفردوا بالسلطة والنفوذ على الأهالي واحتكروا جميع الامتيازات.
٥. وجود كتلة كبيرة من الأهالي ممن هم من الطبقة البرجوازية التي تفتقد السياسة لتكوين الوحدة[١٢].

مراحل الوحدة الإيطالية:

يمكن تصنيف مراحل الوحدة الإيطالية إلى ثلاث مراحل رئيسية يمكن عرضها كما يلي:

المرحلة الأولى:

اتسمت هذه المرحلة بأنها اللبنة الأولى للوحدة الإيطالية بالرغم من أنها غير منظمة واعتمدت على إثارة المشاعر الوطنية لدى الشعب لقيام الوحدة ولم يكن هناك أي تخطيط سياسي للوحدة.

ففي مطلع عام ١٨٤٨م كانت معالم القضية الوطنية اتضحت للشعب الذي سعى لتحقيق الأهداف الثلاثة التي وضعها مازيني وهي الجلاء والاستقلال والوحدة[١٣]. ولتحقيق تلك الأهداف شهدت الولايات الإيطالية العديد من الثورات التي أرست الأسس الأولى للوحدة كما يلي:

- نابولي: بدأت الثورة في روما على يد البابا بيوس التاسع الذي كان يبغض النمسا ويميل إلى الوحدة. قام البابا بإنشاء مجلس وزراء لمناقشة أعمال الحكومة البابوية. ونتيجة إلى ذلك بدأ القلق على وزير النمسا مترنخ الذي لم يتوقع مثل ذلك الظهور في البابوية، وفي نفس الوقت بدأت الثورة تحرك الايطاليين في الولايات المختلفة. وقد انتقلت الثورة إلى نابولي على الملك فرديناند لمدة أسبوعين ولم تستطع الحكومة من السيطرة عليها مما أجبر الملك على تغيير سياسته في العفو عن المعتقلين السياسيين وأنشأ دستور للدولة مما شجع الثورة في باقي الولايات ومنها توسكانا التي اتخذت موقفاً مماثلاً في إنشاء دستور نابولي.
- مملكة سردينيا: كان حاكم سردينيا شارل ألبرت متأثراً بالثقافة الفرنسية وكان لأسرته مطامع سياسية من تحقيق الوحدة كما أن شخصيته تميل إلى طرد الحكم الأجنبي ولديه شعب يطمح في القومية. كل هذه العوامل ساعدة الايطاليين في سردينيا على إقامة الوحدة وإنشاء دستور حقق لمملكة سردينيا حكماً ملكياً على غرار النظام الإنجليزي، كما قام الملك بمنح الحرية للصحافة وأسهم كافور بإسهامات كبيرة فيما تنشره جريدة البعث.
- ميلان: تأثرت ميلان بالثورة وأنطلق المتظاهرون إلى مقر الحكم منددون ضد الحكم النمساوي وكان من حسن الحظ غياب الحاكم النمساوي عن ميلان فتنازل نائبه للثوار عن بعض المطالب إلا أنهم رفضوا ذلك واشتبكوا مع جنود النمسا إلى أن تمكنوا من إخراج القوات النمساوية من ميلان وامتد أثر ذلك إلى النظر إلى بارما وموديا وسقط فيها الحكم النمساوي. وفي الجانب الأخر وقعت أعنف الثورات على النمسا في البندقية والتي قادها (دانيل مانان) وتغلب على القوات النمساوية، غير أن النمسا عزمت على إعادة الأمور لوضعها الطبيعي فشنت حرب على ميلان والبندقية ولمبارديا واستعادة حكمها في معركة (كستوزا). وقد عاود شارل ألبرت القتال مرة أخرى وتمكنت النمسا من هزيمته في معركة (نوقارا) وتنازل شارل عن الحكم لابنه فيكتور عماويل لإجراء الصلح مع النمسا وقد أعلن فيكتور عن إبقاء الدستور والدفاع عن حقوق شعبه وحمايته من أي عدوان داخلي أو خارجي[١٤].

المرحلة الثانية:

بعد فشل ثورات ١٨٤٨ م كانت إيطاليا مفككة وتجذب الدول الكبرى بأن تكون هدفاً لمصالحها المختلفة. في وسط هذه الأوضاع السيئة التي عاشتها إيطاليا ظلت مملكة سردينيا

تحتفظ بشيئ من الدستور الديموقراطي الذي يعتبر روح الأمل المتبقي لإيطاليا في تحرير الدولة وقيام الوحدة. كان للملك عمانويل دور بارز في تعزيز الآمال الإيطالية نحو الوحدة فهو الذي وقف في وجه النمسا ومنع تدخلهم في شؤون بلاده. كما أن شخصية الملك وثقافته وشعوره بحتمية الوحدة وأن سردينيا أقوى دولة ولها تقدم حضاري بالرغم من فقرها يجعل لها الحق في زعامة الوحدة. وبالنتيجة إلى ذلك فقد التف حوله أنصار مازيني وغاريبادي وأعلنوا الولاء والإخلاص للملك الذي استدعى الزعيم الوطني كافور وسلمه رئاسة الوزراء في ١٨٥٢م [١٥].

كافور:

ينتمي كافور إلى أحد الأسر العريقة في بيدمنت ونشأ نشأة حربية واهتم بإدارة أملاكه الزراعية ثم تنقل في أوروبا لدراسة العلوم الاقتصادية والسياسية وعندما عاد إلى إيطاليا أسس جريدة البعث وطالب بالإصلاحات الإدارية وإقامة الدستور. في ١٨٥٢ عين رئيساً للوزراء وأخذ يمهد لطرد النمسا وتحقيق تطلعات الأهالي في الوحدة بأي طريقة وعمل على تلافي أخطاء الثورات السابقة وبدأ في تنمية موارد البلاد الحربية والمالية ثم استعان بدول أجنبية لتنفيذ أهدافه الوطنية[١٦].

سياسة كافور:

عندما تسلم كافور الوزارة بادر في تطبيق سياسة بعيدة الأهداف واضحة المرمى. ويمكن تقسيم سياسة كافور إلى شقين: داخلية وخارجية.

السياسة الداخلية:

١. أعاد تنظيم الجيش ودعمه بالأسلحة الحديثة وتدريبه على الوسائل الحربية الحديثة
٢. بناء شبكة مواصلات حديثة تتلائم مع الدولة الحديثة فجعل من جنوة أحد أهم مرافئ البحر المتوسط وربط مدن المملكة بشبكة من الطرق الحديدية[١٧] .
٣. تطوير المجالات الصناعية والزراعية وفتح أسواق جديدة للتجارة وفرض ضرائب على ممتلكات الكنيسة وانتزاع أملاك الأديرة لتجهيز الجيش[١٨]

السياسة الخارجية

١. شارك الدول الكبرى في حرب القرم وانتصر معها مما أتاح له تكوين صداقة مع بريطانيا وفرنسا، كما شارك في مؤتمر الصلح والذي من خلاله أوصل صوت إيطاليا للدول العظمى، كما استطاع مقارعة المندوب النمساوي ومواجهته الند بالند.

٢. ساعد فرنسا في مؤتمر الصلح بباريس ١٨٥٦ وأثار عطف نابليون على القضية الإيطالية وعقد معه اتفاق ضد النمسا ومحاربتها[١٩] .

لقد اتسمت سياسة كافور على ضرورة الاستعانة بدولة أجنبية كبيرة (فرنسا) لتساعد إيطاليا في تحقيق وحدتها ولم يطلب المساعدة من أي دولة أخرى. فروسيا ليس لها مصالح في إيطاليا ومتمسكة بقرارات مؤتمر فينا كما أنها تضم شعوباً مختلفة في أديانها وعناصرها ولغاتها وبذلك فقد يفتح عليها الباب في التحرر. أما بريطانيا فبالرغم من أنها متعاطفة مع القضية الإيطالية إلا أن كافور استبعدها لمعرفته بأنها لا تملك جيش بري قوي لمواجهة النمسا، كما أن بريطانيا ترى في وجود النمسا كقوة كبيرة ضرورية لتحقيق التوازن في القوة الأوروبية. وبالتالي فقد اتجه كافور لفرنسا للأسباب التالية:

١. هزيمة فرنسا في ١٨١٤ وما نصت عليه قرارات مؤتمر فينا التي لم تكن موافقة لمصالحها وبالتالي فإن مساعدة فرنسا لسردينيا يحقق لها فرصة لتعويض جزء من هذه الأوضاع.
٢. تعتبر فرنسا أن السافواي ونيس أراضي فرنسية بحكم موقعها الجغرافي القريب من فرنسا وبذلك تسعى فرنسا على المساومة لتطبيق مبدأ القوميات في تلك المنطقتين إذا ما ثبتت فرنسا مبدأ القوميات الإيطالية.
٣. عطف نابليون الثالث على القضية الإيطالية ومشاركته في أعمال جمعية الكاربوناري وبالرغم من موقفه المعادية في ١٨٤٩ الناتجة عن السياسة الفرنسية واستغلال كافور لمشاعر نابليون بما يخدم مصلحة بلاده.

وبالنتيجة إلى ذلك فقد وضع كافور أهدافه العامة لسياسته الخارجية.

- التحرر من نفوذ النمسا.
- طرح مشكلة الوحدة الإيطالية بين الدول الأوروبية واستغلاله لحرب القرم ومشاركته فيها بجانب بريطانيا وفرنسا ليتمكن من طرح القضية.
- الإلحاح على فرنسا في التدخل العسكري لحل القضية الإيطالية.

ومن الناحية الأخرى فإن فرنسا كانت تواجهها عقبات لتحقيق رغبات كافور من أهمها:

١. تخوف الحزب الكاثوليكي الفرنسي من زوال الدولة البابوية.
٢. تحقيق الوحدة وزوال البابوية يعني جلاء القوات الفرنسية المكلفة بحماية روما وهي خسارة سياسية ومعنوية لفرنسا.

٣. قيام دولة إيطاليا الموحدة يشكل خطر على فرنسا وذلك بمنافسة إيطاليا لها على البحر الأبيض المتوسط. وبالرغم من كل هذه العوائق فإن رغبة نابليون كانت الفاصل في الأمر إذ كانت رغبته قوية في تقديم المستعدة لإيطاليا مهما كانت الظروف والاعتبارات[٢٠].

اجتماع بلومبير

تم اجتماع بين كل من كافور ونابليون في ٢١ يوليو ١٨٥٨م في مدينة بلومبير الفرنسية والتي توجه إليها كافور سراً. فقد أوضح نابليون رغبته القوية في مساعدة سردينيا في الوحدة والاستقلال ضد النمسا على أن يراعي مصالح فرنسا واتجاهاتها السياسية واقترح أن يتم تنظيم شبه الجزيرة على النحو التالي:

١. اتساع مملكة سردينيا لتشمل الممتلكات النمساوية في لمبارديا والبندقية وبذلك تصبح حدودها من جبال الألب إلى البحر الأدريكاتي.
٢. قيام اتحاد بين ولايات وإمارات الوسط وخاصة بارما وموديا وتسكانة على أن تبقى روما والأراضي المجاورة لها تحت سيطرة البابا.
٣. تظل مملكة الصقيليتين في الجنوب على وضعها الحالي.
٤. ضم سافواي ونيس إلى فرنسا وتزويج ابن عم نابليون على ابنة ملك بيدمنت[٢١].

بالنتيجة إلى هذا التحالف اتفق الطرفان على إيجاد ظروف مناسبة لتدخل فرنسا على أن تكون النمسا هي الدولة المعتدية لضمان عدم تدخل القوات الأوروبية على ذكرى ما فعله نابليون الأول. وقد اضطر كافور للموافقة على مساومة نابليون وبدأت الخطة في اجتذاب النمسا إلى منطقة كارا بإحداث أنشطة مقلقة لتضطر النمسا لاستخدام القوة فيتحرك كافور لمساعدة المتمردين وبذلك يتمكن نابليون من التدخل بحجة الدفاع عن حليفته سردينيا. وقد استمرت الاتصالات بين كافور ونابليون بضعة أشهر لتوقيع الاتفاقية التي عرفت بمعاهدة الدفاع في ٢٦ يناير ١٨٥٩م. وبناءً عليه أخذ كافور في استفزاز النمسا عن طريق التحريض في الصحف بالطعن في حكومة النمسا والتنديد بها، وقد انذرت النمسا كافور بالتراجع وإعطائه مهلة قصيرة[٢٢].

الحرب بين إيطاليا والنمسا

إن الإعلان عن المعاهدة بين فرنسا وإيطاليا أحدث ضجة كبيرة في أوروبا وأدرك الجميع أن فرنسا ترتب لمحاربة النمسا. وقد تدخلت بريطانيا كوسيط بين الطرفين لإيجاد حلول غير الحرب وتقدمت باقتراح انسحاب جنود فرنسا من روما مقابل تخلى النمسا عن محالفاتها وبعض نفوذها في وسط إيطاليا على أن يبقى الوضع على ما هو عليه في المناطق الأخرى. وقد تقدمت روسيا باقتراح عقد مؤتمر للدول الخمسة الكبرى بشرط ألا تحضره سردينيا. وقد قبل نابليون الاقتراح الروسي حتى لا تخسر فرنسا تأييد الدول الكبرى ولا يظهر أمامها الرغبة في الحرب. وبالنتيجة فقد أيقنت النمسا أن فرنسا لا ترغب في الحرب بسبب قبولها المؤتمر وأنها غير مستعدة للحرب. وفي أواخر أبريل ١٨٥٩م وعندما وجهت النمسا الإنذار لسردينيا بوضع السلاح وعدم تجاوب كافور لرغبته في وقوع الحرب، أعلنت النمسا الحرب على سردينيا وعلى الفور توجه نابليون في تقديم المساعدة لحلفائه بجيش يتكون من ١١٥ ألف جندي وأطلق شعاريه الشهيرين "إيطاليا للإيطاليين" و "من الألب إلى الأدرياتك". وقد هزمت النمسا في معركتي (ماجنتا وسولفرينو) واحتلت فرنسا وإيطاليا أراضي اللومبارديا وفتحت أمامهم أراضي البندقية إلا أن نابليون أوقف الحرب قبل أن يصل إلى الأدرياتك وعقد هدنة مع امبراطور النمسا التي أعطت اللومبارديا فقط لسردينيا واحتفظت النمسا بالبندقية وسائر مصالحها في شبه الجزيرة[٢٣].

لقد تخلى نابليون عن وعوده لإيطاليا والذي كان على أبوب البندقية وخسر الأراضي التي وعدها به كافور للأسباب التالية:

١. تخوف نابليون من السخط الأوروبي على التحالف الفرنسي الإيطالي.
٢. أخذت بروسيا في حشد جيوشها في منطقة الراين القريبة من الحدود الفرنسية في حالة ما إذا طلبت النمسا المساعدة وعدم استطاعة نابليون محاربة جبهتين كبيرتين في وقت واحد.
٣. شعور نابليون بعد انتصار الايطاليين أن قيام وحدة إيطاليا على حدود فرنسا ليس من مصلحة فرنسا أو أن الوحدة سوف تسير بما لا يتفق مع المصالح الفرنسية.
٤. قيام الوحدة في إيطاليا سوف يثير غضب الحزب الكاثوليكي الحاكم ويهدد كيان الدولة البابوية.
٥. الخسائر البشرية الكبيرة في صفوف الطرفين.
٦. شعور نابليون بعد الانتصار على النمسا أنه حقق ما يطمح إليه من القضاء على نفوذ النمسا في إيطاليا وأنه قام بوجبه اتجاه بيدمنت.

٧. إيقاف الحرب أعطى النمسا فرصة في إعادة تكوين جيشها وبذلك يضمن نابليون في أن تكون النمسا حليفة له في المستقبل في حالة الخلاف بينه وبين بروسيا مستغلاً التنافس بين النمسا وبروسيا[٢٤].

المرحلة الثالثة: الوحدة في الشمال:

بعد إيقاف الحرب بدأ كافور والذي قدم استقالته للحكومة بالعمل بطريقة غير رسمية في النواحي الخارجية باستمالة بريطانيا عن طريق رئيس الوزراء ووزير الخارجية المتعاطفين مع الوحدة الإيطالية للحصول على تأييد ديبلوماسي لدعم القضية الإيطالية. كان كافور يهدف من هذا الاتجاه إلى أن يحصل على مساعدة فعلية من بريطانيا أو أن تثور فرنسا مخافة التدخل البريطاني. وفي نفس الوقت كان كافور يعمل داخلياً على إلحاق جميع الأراضي الإيطالية الشمالية لمملكة سردينيا عن طريق إثارة الفوضى والاضطرابات في الشمال فشجع العناصر الوطنية في بارما وموديا وتوسكانة وبولونا على التمرد والثورة ضد الحكام[٢٥].

بعد نجاح كافور فيما هدف له أسس مواطنو الشمال جمعيات ثورية أبدت رغبتها في الانضمام لسردينيا بتأييد من بريطانيا. إلا أن كافور أراد موافقة نابليون أيضاً لحاجته له في المستقبل وخوفاً من انضمام نابليون للنمسا وعقد معه اتفاق سري بإعطائه الأراضي التي طلبها مقابل تأييده لضم مناطق الشمال. وبالنتيجة فقد عاد كافور إلى العمل الرسمي لتنفيذ سياسته وأجرى استفتاء في بارما وموديا وتوسكانة والأملاك البابوية وكسب تأييدهم. ومن جهة أخرى فقد عقد كافور معاهدة مع فرنسا في باريس في ١٢ مارس ١٨٦٠ م تنازلت فيه إيطاليا عن نيس وسافواي لفرنسا. وبذلك أصبحت سردينيا تضم جميع أراضي الشمال باستثناء البندقية وخسر البابا أجزاء كبيرة من أراضيه ولم يعد هناك سبب لإعطائه الرئاسة على اتحاد الدول والممالك الإيطالية[٢٦].

ضم الصقيليتين إلى سردينيا:

كانت الفرصة سانحة لضم الصقيليتين لسردينيا بعد أن قطع كافور شوطاً كبيراً نحو الوحدة. كان الملك فرانسو الذي خلف والده فرديناند في حكم نابولي ١٨٥٩ م محدود الخبرة في شؤون الحكم، وقامت عليه ثورات شعبية في ١٨٦٠م في جزيرة صقلية تعامل معها بعنف الأمر الذي أدى إلى استغاثة أهلها للمساعدة. وقد استجاب غاريبادي (إيطاليا الفتاة) لمساعدة الثوار وجمع حوله

الشباب ذوي القمصان الحمر وتمكن من احتلال بالرمو عاصمة صقلية وأقام فيها حكم مؤقت[٢٧].

على الرغم من أن كافور وغاريبادي يجمع بينهم هدف مشترك إلا أنهم اختلفوا كثيراً في تحقيق الوحدة. لقد واجه كافور صعوبات في طريقة عمل غاريبادي المعروف بتطرفه في وطنيته وتعصبه القومي الناجم عن الشعور العاطفي غير أنه لم ينخرط في العمل السياسي فهو لا يدرك الأبعاد السياسية والدبلوماسية لتصرفاته. لقد أراد كافور أن يعمل غاريبادي بما يتفق مع السياسة الدولية حيث أن إيطاليا إلى ذلك الوقت لم تحصل على موافقة نهائية من بريطانيا وفرنسا على اتحاد سردينيا والجنوب الإيطالي. وبذلك أعلن كافور صورياً معارضته لغاريبادي واستنكار اعتداءه على سلطات فرانسوا، غير أنه كان يخفي إيمانه بما قام به غاريبادي وأرسل جيشاً صورياً لمنع غاريبادي من التوجه إلى صقلية إرضاءً لفرنسا وبريطانيا وفي نفس الوقت أوعز لجيشه بعدم التعرض لجيش غاريبادي. وبذلك تمكن الجيش الشعبي من عبور مضيق مسينا الفاصل بين صقلية وجنوب إيطاليا في ٢٠ أغسطس وفي ٩ سبتمبر استولى على العاصمة نابولي وقضى على العرش البوربوني. وبذلك وضعت القوات الإيطالية الدول الكبرى أمام الأمر الواقع وأعلنت بريطانيا موافقتها على اتحاد الشمال والجنوب بعد أن علمت أن فرنسا كانت تخطط لإعطاء حكم نابولي لأمير فرنسي وبذلك فإن التنافس بين الدولتين صب في مصلحة الوحدة الإيطالية وأهداف كافور[٢٨].

- **سقوط الأراضي البابوية:**

إن إعلان غاريبادي توجهه إلى وسط إيطاليا لتحرير ما تبقى من أملاك الحاكم البابوي أثار مخاوف كافور في أن يؤدي هذا الإعلان إلى خطر يواجه الوحدة الإيطالية. فكافور يرى أن توجه غاريبادي إلى روما يفقد الوحدة الإيطالية عطف وتأييد الكاثوليك في كل مكان، كما أن غاريبادي قد يصطدم بالحامية الفرنسية مما يؤدي إلى نشوء خلاف وصراع بين إيطاليا وفرنسا. وبالنتيجة فقد استشار كافور نابليون في الأمر الذي سمح فيه نابليون باختراق الأراضي البابوية للوصول للجنوب شريطة أن يتم الاقتحام بسرعة كبيرة لتضع الرأي العام الكاثوليكي في فرنسا أمام الأمر الواقع. وبالفعل توجه جيش سردينيا باتجاه الوسط ودخلت القوات أراضي البابا في مقاطعتي المارش واومبريا بحجة القضاء على أعمال الشغب وتمكنت من مقاومة جيوش المتطوعين البابويين في ١٨سبتمبر ١٨٦٠م. وبعد وصول جيش سردينيا إلى الجنوب استقبلهم غاريبادي ورحب بالشماليين والملك فكتور عمانويل الثاني باعتباره ملك إيطاليا. وبذلك انضم الشمال

والجنوب في ظل الحكم الملكي بحسب ما يريد كافور. وقد أجري استفتاء في الجنوب ومقاطعات الدولة البابوية ونتج عن الاستفتاء وجود رغبة جماعية في الوحدة مع سردينيا وتم إعلان فيكتور عمانويل ملكاً على إيطاليا في ١٨فبراير ١٨٦١م، وقد غيب الموت كافور من رؤية هدفه المنشود في تحقيق الوحدة الإيطالية في ٦ مايو ١٨٦١م[٢٩].

- **تحرير البندقية:**

اعتمدت الحكومة الإيطالية على عامل الزمن وانتظار الفرصة المناسبة لتحرير البندقية. فعندما تأزمت العلاقة بين النمسا وبروسيا في ١٨٦٦ م وبدأت كل دولة تستعد للحرب وتبحث عن حليف لها. نجحت إيطاليا في استغلال الفرصة وأخذت تناور الطرفين إلى أن تمكنت من الوصول إلى اتفاق مع بروسيا بضمانة نابليون الثالث. وقد نص الاتفاق أن تقف إيطاليا بجانب بروسيا في أي صراع يظهر بين بروسيا والنمسا وأن تقدم لها بروسيا المساعدات العسكرية مقابل أن تحصل إيطاليا على البندقية من النمسا في حالة انتصار بروسيا. وبعد هزيمة النمسا تم الاتفاق في معاهدة الصلح أن تتنازل النمسا عن البندقية لفرنسا التي قامت بإهدائها لإيطاليا[٣٠].

- **ضم روما إلى إيطاليا**

لم يتبقى لإيطاليا سوى تتويج وحدتها بنقل عاصمتها إلى روما. وقد استغلت إيطاليا الحرب بين بروسيا وفرنسا في ١٨٧٠ م حيث سحبت فرنسا حاميتها من روما لدواعي الحرب وأنشغل الرأي العام الأوروبي عن قضية البابا. وبذلك فقد بادرت حكومة إيطاليا لإعلان روما جزءً من الدولة الإيطالية واتخذها فيكتور عمانويل الثاني عاصمة لمملكته. ولإضافة الصفة الشرعية عمل استفتاء الذي أقر بالغالبية انضمام روما لإيطاليا. غير أن هذه الوقائع أحدثت قطيعة بين البابا والحكومة الإيطالية استمرت إلى ١٩٢٩م حيث عقدت بين الطرفين معاهدة (لاتران) التي أعطت البابا الحكم على بعض المناطق المحيطة بالكنيسة ونصت على اعتراف الحكومة الإيطالية بالدولة البابوية المستقلة (الفاتيكان). أما باقي المناطق (تيرول وتريستا) فقد التحقت بإيطاليا وبذلك انتهت مراحل الوحدة الإيطالية في ١٩١٩ م بعد خروج إيطاليا منتصرة في الحرب العالمية الأولى[٣١].

المحور الثاني: الوحدة الألمانية:

نبذة عن ألمانيا:

كانت ألمانيا قبل مؤتمر فينا (١٧٨٩م) مقسمة إلى أكثر من ثلاثمائة ولاية، منها ولايات كبيرة وأخرى صغيرة ولا يوجد بينها أي روابط سوى التبعية لكم إمبراطور الرومانية المقدسة

وكان لكل ولاية قوانينها وحكومتها وجيشها. وقد أثرت الثورة الفرنسية وحروب نابليون الأول في ألمانيا، حيث أزيلت مائة ولاية صغيرة وظهرت بعض الولايات مثل بافاريا وورتمبرج وسكسونيا وتحولت إلى ممالك على حساب النمسا. وفي ١٨٠٦م ظهر اتحاد الراين الذي ضم ستة عشر ولاية برئاسة نابليون وبذلك زالت الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وبالنتيجة فقد قسمت ألمانيا إلى ثلاث مجموعات هي النمسا وبروسيا واتحاد الراين وبذلك يعتبر نابليون هو البادئ بعملية توحيد ألمانيا بالإضافة إلى سياسته التعسفية التي ساعدت على إثارة الروح القومية في الشعوب الألمانية[٣٢].

لم يتطرق مؤتمر فينا إلى إعادة الإمبراطورية المقدسة وفي نفس الوقت ظهرت رغبة النمسا عن طريق وزيرها (مترنخ) في بقاء ألمانيا مقسمة حتى تتمكن النمسا من السيطرة عليها. وبذلك قرر المؤتمر تكوين اتحاد مفكك من الولايات الألمانية إلى ثمانية وثلاثين ولاية مقسمة بحسب المساحة إلى ثلاث مجموعات. ضمت المجموعة الأولى دولتين كبيرتين هما النمسا وبروسيا والثانية ضمت خمس ولايات متوسطة المساحة هي بافاريا وفورتمبرج وبادن وسكسونيا وهانوفر، أما المجموعة الثالثة فتتألف من عدة ولايات صغيرة وثلاثة مدن هي همبورج وبرمن ولوبك. وقد أقر المؤتمر تكوين اتحاد ضعيف يربط الولايات المستقلة عوضاً عن الدولة المقدسة وتأسس مجلس الدايت الذي تضمن كل حكام الولايات برئاسة النمسا لضمان عدم تزعم بروسيا للاتحاد الألماني[٣٣].

إن الاتحاد الجرماني الذي أقره مؤتمر فينا لم يكن ذو فعالية قوية، ذلك أنه لا يمكن إقرار أمر ما إلا بموافقة جميع الأعضاء ومن الصعوبة بمكان أن تحصل موافقة ثمانية وثلاثين دولة على الأمر لما بينهما من نزاعات ومصالح مختلفة، بالإضافة إلى أن قرارات الاتحاد تصدر بشكل توصيات لعدم وجود قوة منفذة. أما القرارات المنفذة فكانت تنبع من النمسا وبروسيا لما تملكه الدولتين من قوة ونفوذ على باقي الولايات، إلا أنه قلما تتفق الدولتين على أمر ما. فالنمسا كانت متمسكة بقوة بالاتحاد لما يخول لها السيطرة على العالم الجرماني، كما أنه يشكل حاجز أمام بروسيا في الحيلولة من تزعمها الولايات الألمانية. أما بروسيا فكانت ترغب في تحطيم هذا الاتحاد الذي طوقها به مؤتمر فينا في تكوين دولة قومية مستقلة. كانت بروسيا ترى في نفسها أنها أكبر وأقوى دول ألمانيا وتشعر بالتزامها تجاه القضية الألمانية في تحقيق الوحدة، وبالعكس فإن النمسا لا ترغب في قيام الوحدة لما له من خطر وتهديد على مصالحها حيث أن الوحدة تعني قيام دولة ألمانية تضم ٢٠% من النمساويين ذوي الأصل الجرماني مما يثير بقية الشعوب النمساوية التي كانت تطالب بالاستقلال[٣٤].

لقد تشكل في ألمانيا حزبان رئيسيان وهما حزب ألمانيا الكبرى (حزب النمسا) وحزب ألمانيا الصغرى (حزب بروسيا)، وكان كل حزب يتطلع لزعامة حركة الوحدة إلا أن الغلبة كانت لحزب بروسيا. وقد قامت عدة إصلاحات في بروسيا بعد حرب (بينا) ١٨٠٦ م ضد التحالف الدولي وأصبحت بروسيا ملكية دستورية وأصلحت المرافق العامة والجيش الذي يعتبر صديق الشعب. وبالرغم مما أقره مؤتمر فينا من حقوق لبروسيا إلا أن ممتلكاتها لم تكن متصلة ولم يكن هناك قانون موحد لكل الدولة، فالأجزاء الوقعة على نهر الراين تستعمل القانون النابليوني أم في الشرق فالسلطة في يد الطبقة الأرستقراطية ولم يكن لبروسيا برلمان ولا صحافة كما أن السلطة مركزة في يد الملك الذي كان يعمل على الرجعية تارة وتارة أخرى يميل للإصلاح. فكان هناك حزبين الأول يميل إلى الاستبداد ولا يعمل بالدستور والثاني يميل إلى الدستور[٣٥].

سياسة النمسا:

منذ صدور قرارات مؤتمر فينا ١٨١٥ م نجد أن النمسا اتبعت سياسة رجعية تعسفية وكانت نزعتها إلى الجنوب والشرق وبدأت أطماعها نحو البلقان وانحصرت جهودها في إيقاف الحركات القومية الديموقراطية لتتمكن من فرض سيطرتها المطلقة على يد وزيرها مترنخ. فلم يحدث طوال عهده أي تقدم أو تغيير جوهري سوى المحافظة على ممتلكات الإمبراطورية. أم بروسيا فكان يسودها روح التقدم واهتمت بألمانيا نفسها واستفادت من رجال العلم والسياسة والحرب وأنشأت الاتحاد الجمركي (الزولفرين) الذي أسهم في توحيد أجزاء مختلفة من ألمانيا وساهم في بناء الوحدة الألمانية[٣٦].

لقد اتخذت النمسا كل الأساليب والإجراءات الوقائية في قمع وانتشار الأفكار الثورية بوضع الصحف والجامعات وحركات الأحرار تحت المراقبة المستمرة، وقد استفادة النمسا من بعض العوامل التي ساعدتها في تطبيق سياستها منها:

١. احتفال ورتبرج الديني والسياسي الذي اعتاد عليه شباب الجامعات لنشر الأفكار الوطنية وفتح باب الاشتراك في التدريبات العسكرية والبدنية. وقام المشاركون بإحياء ذكرى موقعة ليبرز وإحياء ذكرى مارتن لوثر وأحرقوا الشعارات الرجعية مما أثار سخط مترنخ الذي توعد بالقضاء على مثل هذه الحركات.
٢. حادثة كارل ساند عندما أقدم على قتل أحد الصحفيين في ١٨١٩ مما تسبب في إصدار قرارات تعسفية لمقابلة مثل هذه الجرائم[٣٧].

العوامل التي ساعدت على الوحدة:

يمكن القول إن هناك عاملين أساسيين للوحدة الألمانية وهي العوامل الاقتصادية والثقافية ويمكن تناولها كما يلي:

أولاً: العوامل الاقتصادية:

بالنظر إلى العوامل الاقتصادية التي ساهمت في الوحدة الألمانية يمكن القول إن الاتحاد الجمركي الألماني (الزولفرين) يعتبر أهم الركائز الأساسية في الوحدة. شرعت بروسيا في تكوين الاتحاد في ١٨١٨م وبدأ واضحاً في ١٨٣٤م على يد وزير المالية البروسي (ماشي) لخدمة المناطق الجمركية في بروسيا التي كانت مناطقها مقسمة إلى عدة مناطق جمركية وكل منطقة لها ضرائبها الجمركية وبذلك تم توحيد بروسيا داخلياً. وبالنتيجة فقد أدرك مسؤولي بروسيا أن الوحدة الاقتصادية هي الأساس الذي يقود إلى الوحدة السياسية ونجحوا في إدخال الولايات الألمانية الصغيرة في الاتحاد، وفي المقابل كانت هناك صعوبات في ضم الولايات الكبيرة التي فضلت قيام اتحادات جمركية مستقلة لمواجهة الاتحاد الجمركي البروسي. وبالتالي فقد تكونت ثلاثة اتحادات جمركية في الولايات الألمانية وهي:

١. الزولفرين في بروسيا ١٨١٨م.
٢. بافاريا ١٨٢٠م.
٣. سكسونيا ١٨٢٨م.

وقد غيرت بروسيا سياستها نحو الاتحاد في أن تكون صاحبة القرار وذلك للاستفادة من انضمام كل الولايات الألمانية فعدلت شروط الانضمام إلى الزولفرين وأصبح الإشراف على الاتحاد لمجلس مكون من مندوبين عن الولايات وتم توزيع الواردات على كل ولاية بنسبة عدد السكان. وبذلك انضم اتحاد بافاريا وسكسونيا إلى الاتحاد في ١٨٣٤م التي كانت له نتائج إيجابية كبيرة على التجارة والصناعة والزراعة. ولم تكتفي ألمانيا بهذا الحد بل اتجهت إلى سياسة الحماية الجمركية التي روجها أحد الاقتصاديين الألمان (فردريك لبست) في كتابه النظام القومي للاقتصاد السياسي وبحلول عام ١٨٤٢ م أصبحت ألمانيا كلها ضمن هذا الاتحاد[٣٨].

ثانياً: العامل الثقافي:

يتضح دور الفيلسوف الألماني (هيجل) في (أسس فلسفة الحق) في مقولته (إن الدولة إله يمشي على الأرض وأن الحق يجب أن تسنده القوة بل الحق هو القوة) وكذلك وحدة الثقافة

والوحدة الوطنية. وقد راجت أفكار هيجل إلى الجامعات الألمانية وظهرت الحركة الوطنية في الأوساط الجامعية[٣٩].

دور الجامعات في الوحدة:

إن للجامعات الألمانية دور محدود في بناء الوحدة. فقد تأثر طلاب الجامعات بالضابط القديم (هاجن) الذي يكره فرنسا في إثارة الروح الوطنية وقد أقدم هاجن على تدريب الطلاب على التربية البدنية. لم يكن لهؤلاء الطلاب نظرية سياسية بل كانت جل مطالبهم في تحرير ألمانيا من النفوذ الأجنبي. وقد شكل المؤرخ الأماني (لودن) أحد أساتذة جامعة بينا رابطة للطلاب لتخلصيهم من النقابات القديمة في العصر الوسيط وأنشأ اتحاد بمسمى (برشنشافت) أي اتحاد الفقراء وغلب عليه طابع القومية واتخذ من اللون الأسود والأحمر والذهبي شعاراً له. وفي جامعة أخرى (جيسن) في إمارة هس-كاسل التف الطلاب حول (كارل فولن) الراديكالي الذي أشعل الحماس في نفوس الطلاب. وقام أحد الطلاب بالاعتداء على الشاعر الروائي (كوكزبيو) وهو أحد أصدقاء القيصر وقتله في ١٨١٩م. وبالتالي فقد اتخذ الديت في فرانكفورت إجراءات صارمة لوقف هذه الحركات وتم الاتفاق بين ملك بروسيا وليم الثالث ومترنخ على مواجهة هذه الحركات، فألغيت جمعيات واتحادات الطلبة وأنشئ في كل جامعة لجنة لمراقبة أنشطة الأساتذة والطلاب، كما فرضت الرقابة على الصحف وتم اعتقال عدد كبير من الطلبة[٤٠].

الثورات في ألمانيا:

إن ما قامت به مملكة سردينيا ذات القوة العسكرية المتواضعة في توحيد إيطاليا يفرض على بروسيا الدولة الأكبر والأقوى أن تتبنى الوحدة الألمانية. كان القاسم المشترك بين إيطاليا وألمانيا هو النمسا غير أنها في إيطاليا كانت دول أجنبية أما في ألمانيا فكانوا أبناء جلدة واحدة فهي جزء مكمل لحياتهم التاريخية المشتركة[٤١].

أثرت ثورة فرنسا ١٨٤٨ م في دول أوروبا المتطلعة إلى الحرية ومنها ألمانيا وإيطاليا والنمسا والمجر والتشيك، وأصبح مترنخ عاجز عن تطبيق سياسة قمع الحريات وقد شكلت ثورة فينا وإيطاليا حافزاً لألمانيا في تحقيق الوحدة فتكونت جماعات قوية من المثقفين والمؤمنين بالوحدة عن طريق برلمان ينظم الأمة الألمانية. وبالنتيجة فقد اتجهت الولايات الألمانية وبروسيا إلى الحرية والنظم البرلمانية وفي النمسا إلى الإصلاح دون أن تفقد مكانتها كإمبراطورية حيث أنها تملك

جيش قوي يستطيع أن يضرب الثورة في المجر وفينا خاصة بعد تولي (شقار كزنيرج) رئاسة الوزراء النمساوية خلال أزمات ١٨٤٨- ١٨٥٠[٤٢].

عندما اعتلى الملك فردريك الرابع عرش بروسيا في ١٨٤٠ م نادى بالحرية والديموقراطية والدستور إلا أنه لم يحقق شيئاً من ذلك. وفي ١٨٤٧ م واجه الملك مطالب شعبية بتحقيق وعوده إلا أنه أثبط المشاريع الإصلاحية. ومع وصول أخبار ثورة فرنسا تحركت الأوساط الشعبية لإطلاق الحريات فقام المثقفين والطلاب والفلاحين بالثورة وكان العامل المشترك بينهم هو الوحدة. عندئذ أعلن الملك دعوة المجلس النيابي للانعقاد إلا أن الثورة اشتعلت بين فئات الشعب المختلفة ورجال الأمن مما أدى إلى خسائر مادية وبشرية[٤٣] .

نشطت الخطوات التنفيذية للوحدة الألمانية وانعقد برلمان تمهيدي في باريس ١٨٤٨م ليحل محل الدايت الألماني القديم الذي تسيطر عليه النمسا واجتمع في فرانكفورت ليشكل حكومة ألمانية مؤقته لإصدار جمعية وطنية بالانتخاب ووضع دستور لألمانيا المتحدة يقوم على الأسس القانونية والحماية لحرية الأفراد. إلا أنه من الصعب أن توافق النمسا على أن تدخل في دولة ألمانية تكون فيها النمسا تابعة وبالتالي فإن ضم الجزء الألماني من النمسا يعني حرب ضد النمسا لإقصائها عن ألمانيا وفي نفس الوقت كانت في ألمانيا قوة أخرى معارضة لإقصاء النمسا وهي:

١. الكاثوليكية التي تستند على النمسا في تقوية نفوذها.
٢. الولايات الألمانية الصغيرة التي تخشى من طغيان بروسيا عليها وترى في النمسا القوة القادرة في الوقوف في وجه بروسيا.

وبالتالي وافق برلمان فرانكفورت على فصل النمسا عن الاتحاد الألماني وعرض حكم الاتحاد على فردريك الرابع ملك بروسيا كخطوة لتأكيد الوحدة من جهة ومن جهة أخرى لكسب قوة بروسيا في الدفاع عن الاتحاد الألماني إلا انه رفض تولي الحكم لعدة أسباب:

- جاء الانتخاب عن طريق الشعب وليس الأمراء الذين لهم الحق في ذلك.
- قبوله للحكم يعني أنه سيدخل في حرب مع النمسا وحليفتها روسيا.

وبالفعل تمكنت روسيا والنمسا في تحطيم برلمان فرانكفورت والدستور الخاص به، وفي الجانب الآخر فإن انشغال النمسا بالثورة في المجر أتاح الفرصة لبروسيا في ١٨٤٩م من تقديم اقتراح بعقد مؤتمر من الأمراء بتولي وضع للإمبراطورية الألمانية وقد لاقت الفكرة استحسان من الإمارات

الألمانية، إلا أن النمسا وبعد انتهائها من ثورة المجر توجهت لألمانيا وشجعتها الإمارات المعارضة لبروسيا في معارضة المقترح وتضاعفت الأزمة بين بروسيا والنمسا التي أرغمت وليم الرابع على شروطها في ١٨٥٠م والتي من أهمها:

١. عودة الدايت الألماني بزعامة النمسا.
٢. تخلي بروسيا عن الإمارات التي تحت ادارتها.
٣. قبول بروسيا عقد اجتماع للدول الأعضاء في الاتحاد الألماني.

وعندما خاضت النمسا الحرب مع إيطاليا وما تعرضت له من خسائر اتجهت إلى إرضاء الحركات الدستورية القومية وأفسحت المجال للحرية الصحفية[٤٤].

برلمان فرانكفورت:

انطلاقاً من الرغبة العامة بقيام الوحدة دعى فريق الأحرار إلى عقد مؤتمر تحضيري في فرانكفورت يحضره مندوبون عن جميع المجالس التمثيلية لوضع نظام يقوم على مبدأ الاقتراع يشمل كل الألمان لانتخاب برلمان تأسيسي لوضع دستور ألمانيا الموحدة وتم عقد أول اجتماع في كنيسة بولي بفرانكفورت. وقد تميز هذا الاجتماع بالاعتدال بين كافة الحضور بالرغم من خلافاتهم الدينية وابتعدوا عن الأفكار الثورية وتوحدت كلمتهم على تحقيق وحدة ألمانيا بالتعاون مع الأمراء والحكان الألمان. وقد اتفق الجميع على تولي فردريك الرابع عرش ألمانيا إلا أنه رفض بحجة أنه جاء عن طريق الشعب وليس الأمراء. وبعد نجاح النمسا في اخماد ثورة فينا قام الملك بإبعاد الأحرار وعلق الدستور وقام الجيش بالقضاء على الثورة كنتيجة لفشل المؤتمر، وبالتالي فقد قضى فردريك على آمال الشعب في تحقيق الوحدة [٤٥] .

الكونت بسمارك:

عندما تولى الملك وليم الأول الحكم في ألمانيا في ١٨٦١ م استدعى الكونت أوتوفون بسمارك لتسلم رئاسة الوزراء والذي يرجع إليه الفضل هو ووزير الحربية فون رون وقائد الجيش مولتكه في تأسيس الإمبراطورية الألمانية الحديثة[٤٦].

ولد بسمارك في ١٨١٥ م في براند بورج البروسية وينتمي إلى عائلة بروسية عريقة أرستوقراطية محافظة على التقاليد العسكرية وولائها للعرش البروسي. تلقى تعليمه في برلين ثم عمل في العدلية ثم عاد إلى موطنه للعمل في أراضي عائلته إلى ١٨٤٩م حيث انتخب ممثلاً للمقاطعة في المجلس النيابي. ومن خلال عمله لوحظ عليه الموهبة الخطابية والحجة البلاغية القوية فعين ممثلاً

لبلاده في مجلس الاتحاد بفرانكفورت. يتمتع بسمارك بشخصية استبدادية قوية جعلته يكره الشعب ولا يؤمن باشتراكه في الحكم مما جعل الملك يعينه سفيراً في روسيا ثم باريس إلى١٨٦٢م حيث ترأس الوزارة البروسية. وقد نجح بسمارك في فض النزاع بين الملك ومجلس النواب على الاعتمادات العسكرية التي طلبها الملك ورفضها المجلس وتولى بسمارك تحقيق رغبات الملك في تنظيم الجيش[٤٧].

مراحل الوحدة الألمانية:

جاءت الوحدة الألمانية عن طريق القوة فقد كان بسمارك يرى أنه لا يمكن تحقيقها إلا من خلال الدولة الأقوى (بروسيا)، لذلك بنى سياسته على إزالة خصوم ألمانيا وهما النمسا وفرنسا عن طريق الحرب وكان ينتظر الفرصة المناسبة للقضاء عليهم وعلى إثرها قامت ثلاث حروب مع الدنمارك والنمسا وفرنسا[٤٨].

أولاً: الحرب مع الدنمارك:

تعتبر هذه الحرب مقدمة للحرب بروسيا والنمسا حيث نشب خلاف في ١٨٦٤ م بين الدنمارك والألمان حول ملكية الدوقيتين الشلزويغ والهولشتاين وعل أثر هذا الخلاف قامت الحرب بين النمسا وبروسيا من جهة والدنمارك من جهة أخرى وانتصر الحلفاء وأعطيت الهولشتاين للنمسا والشلزويغ مع مدينة كيال لبروسيا حسب اتفاقية جستن ١٨٦٥م. وبالنتيجة فقد أقدمت بروسيا على حفر قناة بين بحر الشمال وبحر البلطيق الأمر الذي أزعج النمسا في تقوية الأسطول البحري البروسي وزيادة نفوذها فبدأت تعمل للحصول على تعويضات وخاصة في سيليزيا مقابل ما حصلت عليه بروسيا من مكاسب. عندها أيقنت أوروبا بأن الحرب بين النمسا وبروسيا قائمة لا محالة بين الطرفين[٤٩].

ثانياً: الحرب مع النمسا:

في ١٨٦٦ م اجتمع مجلس الوزراء الألماني لبحث قضية الحرب مع النمسا وإمكانية الانتصار وتوصل المجلس إن بروسيا لا يمكن ان تنتصر بمفردها ولابد من التحالف مع إيطاليا لشغل ثلث قوات النمسا مما يعطي لبروسيا إمكانية النصر. واتجه بسمارك إلى تحقيق تحالف مع إيطاليا من جهة ومن جهة أخرى أخذ في اثارة المشاكل مع النمسا حتى تكون هي الدولة المعتدية وتعلن الحرب على بروسيا. استغل بسمارك معاهدة جستن لتكون ذريعة لمحاربة النمسا فبدأ في ترتيب مصالحه مع بعض الدول الأوروبية في تحييدها وتأمين موقفها مع ألمانيا. فاتفق أولاً مع نابليون

الثالث على أن تلتزم فرنسا الحياد في حالة الحرب مع النمسا مقابل الحصول على بلجيكا أو بعض ولايات الراين، كما اتفق مع إيطاليا أن تنضم إلى جانبه في سبيل الحصول على البندقية، بالإضافة إلى اتفاقية التعاون التي أجراها مع بروسيا[٥٠].

وبالنتيجة فقد تحالفت بروسيا وإيطاليا لمدة ثلاثة أشهر وأخذ بسمارك يجهز جيوشه سراً على حدود النمسا تحسباً لعامل الوقت وبذلك حشدت النمسا جيشها علناً مما أظهرها كدولة معتدية وفي نفس الوقت حاولت النمسا في التوصل إلى حل مع بروسيا في التنازل عن دوقية الهوليشتاين إلا أن بسمارك رفض الأمر تماماً[٥١].

بدأت الحرب بين بروسيا والنمسا في ١٤ نوفمبر ١٨٦٦م وكانت سريعة وخاطفة انتهت بعد ثلاث أسابيع في المعركة الفاصلة (سادوا) وتمكنت بروسيا من النصر قبل أن تتمكن الولايات المحالفة للنمسا من مساعدتها، كما قدمت إيطاليا خدمة كبيرة لبروسيا بالرغم من هزيمتها بإشغالها ثلث جيش النمسا. وأثبتت (سادوا) مدى قوة الجيش البروسي كما شكلت تهدياً مباشراً على فرنسا التي اتخذت جانب الحياد[٥٢].

بالرغم من انتصار بروسيا إلا أن بسمارك لم يكمل الحرب والتوجه إلى فينا رغم مطالبة الملك ولكن بسمارك نجح في إقناعه أن الغرض الأساسي من الحرب هو تحقيق الوحدة وليس إذلال النمسا. وبالنتيجة فقد احتكم الطرفان لتوسط فرنسا وأجريت بينهم معاهدة (براغ) على الشروط التالية:

١. تشكيل اتحاد ألمانيا الشمالية (شمال المين) ووضع دستور له.
٢. تكوين كيان مستقل من دويلات ألمانيا الجنوبية.
٣. ضم الدوقيتين لبروسيا.
٤. ضم البندقية إلى إيطاليا.
٥. ضم هانوفر إلى بروسيا بسبب تحالفها مع النمسا.

وبموجب هذه المعاهدة اتجهت ألمانيا إلى تحقيق الوحدة بصورة كبيرة وأصبحت مقسمة إلى ثلاثة مناطق وهي اتحاد الماين بزعامة بروسيا واتحاد جنوبي الماين لفرنسا وقسم تسيطر عليه النمسا[٥٣].

ثالثاً: الحرب مع فرنسا:

اتجه بسمارك إلى عقد تحالف بين اتحاد ألمانيا الشمالية وبعض دويلات الجنوب في ١٨٦٧م مما يدل على عزيمته في تحقيق كامل الوحدة رغم المعارضة الفرنسية. وبالتالي قام نابليون

بمطالبة بسمارك بتنفيذ الاتفاق في حصول فرنسا على بلجيكا أو جزء من أراضي الراين، إلا أن بسمارك رفض الأمر بحجة أنه لا يملك حق التصرف فيها وفي نفس الوقت أبلغ بريطانيا بمطالب نابليون مما أحرج فرنسا وجعلها تحتل لوكسمبورغ، وبالنتيجة فقد عقد مؤتمر في لندن في ١٨٦٧ م تقرر بموجبه أن تكون هذه المنطقة حياد بين بروسيا وفرنسا[٥٤].

إن أحد أهم الأسباب الرئيسية في بين بروسيا وفرنسا هي قضية العرش الإسباني عندما هربت ملكة إسبانيا (إيزبلا) بعد الانقلاب عليها وتم ترشيح الأمير ليوبولد أحد أقرباء قيصر بروسيا والذي لاقى اعتراض فرنسا. وفي ١٨٧٠ م أعيد انتخاب الأمير مجدداً والذي أحال الطلب لملك بروسيا وقد تحمس له بسمارك باعتبار أن ملك إسبانيا من عائلة هوهنزلرن سيجعل إسبانيا كماشة وبذلك تصبح فرنسا أقل معارضة لمصالح بروسيا. وما أن أعلمت فرنسا بالأمر أعلنت رفضها بشدة وقام بسمارك بتوجيه خطاب لفرنسا على صيغة إهانة للشعب الفرنسي لإثارة فرنسا، ونجح في ذلك إذ أقر مجلس الوزراء الفرنسي الاعتمادات العسكرية وأعلنت الحكومة الفرنسية الحرب على بروسيا. وقد أعلنت روسيا الحياد شريطة أن تبقى النمسا محايدة، كما أعلنت بريطانيا كذلك الحياد وبقيت فرنسا وحده أمام بروسيا[٥٥].

سياسة بسمارك في الحرب مع فرنسا:

١. دخول الحرب سريعاً حتى لا تستطيع النمسا أن تثأر لنفسها بمساعدة فرنسا.
٢. اجبار فرنسا على البدئ في إعلان الحرب حتى تتمكن بروسيا من ضم الولايات الجنوبية للدفاع عن الدولة الألمانية.
٣. التعاون مع روسيا في التزام الحياد أو الانضمام لبروسيا في حالة انضمام النمسا مع فرنسا[٥٦].

كانت عوامل الانتصار متهيئه لألمانيا أكثر من فرنسا ذلك أن الجيش البروسي بقيادة فون مولتكه قد هيأه للحرب عبر تدريب الجنود على الأساليب الحديثة منذ ١٨٦٧ م وفق خطط مدروسة عن أوضاع الجيش الفرنسي ومكامن ضعفه، في حين أن الجيش الفرنسي وبالرغم من سمعته الكبيرة إلا أنه يفتقد للقيادة الحازمة والسلاح الحديث. ونتيجة إلى ذلك قامت بروسيا بحشد جيوشها نحو فرنسا ناقلة المعركة إلى الأراضي الفرنسية وفي خلال يومين حقق الجيش البروسي انتصارين كبيرين في الألزاس واللورين. واضطر نابليون للتنازل عن القيادة للجنرال بازين الذي عجز عن مقاومة التقدم البروسي في متز. وفي الناحية الأخرى تجمع الجيش الفرنسي بقيادة مكماهون للدفاع عن العاصمة باريس غير أن مولتكه تعقب هذا الجيش والتقى به في (سيدان) وأنزل به هزيمة ساحقة

في سبتمبر ١٨٧٠م . وأعلنت الجماهير الفرنسية الثائرة قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة وتشكيل حكومة الدفاع الوطني المؤقتة. غير أن القوات الألمانية وصلت إلى ضواحي باريس وحاصروها إلى أن استسلمت في ٢٨يناير ١٨٧١م. عقب ذلك أعلنت الهدنة بين الطرفين وأصر بسمارك على أن يقوم الفرنسيين بانتخاب جمعية وطنية لتوقيع الهدنة، وتم اختيار تيير رئيساً للسلطة التنفيذية لإجراء مفاوضات الصلح مع الألمان[٥٧].

الإمبراطورية الألمانية:

بعد معركة سيدا أدرك بسمارك أنه حان الوقت لقيام الوحدة الألمانية وبدأ في المفاوضات مع ملوك وأمراء الولايات المانية على شكل الحكومة الألمانية الجديدة. وقد واجه بسمارك عائق اختلاف وجهات النظر في حين أن فئة الأحرار والمثقفين ترغب في إقامة دولة ديموقراطية واحدة تجمع كل الولايات الألمانية ومن جهة أخرى فإن أمراء ولايات الجنوب يحرصون على كياناتهم وامتيازاتهم، وحيث أن الحرب لم تنته وكان للولايات الجنوبية دور كبير بها فقد أثر بسمارك إرضاء حكامها واختار النظام الاتحادي كشكل للدولة الألمانية الجديدة وأعطى بافاريا بعض الامتيازات كالإشراف على الجيش في زمن السلم والاهتمام بالسياسة الخارجية. وبذلك توصل بسمارك إلى اتفاق على إقامة دولة ألمانية موحدة برئاسة القيصر الألماني مع احتفاظ كل ولاية بسيادتها الكاملة في أمورها الداخلية. ومن دهاء بسمارك يتضح أنه قد جعل الأمراء الألمان يعرضون الحكم على ملك بروسيا الذي رفض العرش من الشعب. وفي ١٨ يناير ١٨٧١م اجتمع الأمراء والملوك في قاعة المرايا بقصر فرساي وأعلنوا الإمبراطورية الألمانية برئاسة وليم الأول ملك بروسيا رئيساً للدولة الجديدة[٥٨].

معاهدة فرانكفورت:

كانت المفاوضات بين بسمارك وتير على شروط الصلح صعبة للغاية إذ تمسك بسمارك برغباته في فرض شروط مهينة لفرنسا ورغم مقاومة الرئيس الفرنسي إلا أن بسمارك فرض عليه شروطه والتي نتج عنها الحرب العالمية الأولى وتم توقيع المعاهدة في ١٠ مايو ١٨٧١ م على الشروط التالية:

١. تحتل بروسيا مقاطعة الألزاس واللورين ومدينة متز.
٢. تدفع فرنسا غرامة حربية مقدارها خمسة مليارات فرنك فرنس.

٣. تحتل الجيوش الألمانية أراضي فرنسا الشمالية إلى حين دفع الغرامة المالية التي دفعتها فرنسا خلال ثلاث سنوات للتخلص من الجيوش الألمانية[٥٩] .

المحور الثالث: المقارنة:

بعد استعراض مراحل الوحدة الإيطالية والألمانية وما اتبعته كلتا الوحدين من طرق ووسائل وعوامل في تحقيق الوحد، سوف يقوم البحث بمقارنة بين الوحدتين على أن العامل الرئيسي المشترك بين الوحدتين هو النمسا، في حين أنها في إيطاليا دولة أجنبية وفي ألمانيا أبناء جلدة واحدة. ومن الناحية الأخرى نجد أن فرنسا كانت حليفة لإيطاليا واشتركت معها في تحقيق الوحدة، غير أنها كانت خصم لألمانيا التي دخلت معها في الحرب البروسية الفرنسية. وسوف يقارن البحث أهم العوامل التي أدت إلى الوحدة في كل من إيطاليا وألمانيا على النحو التالي:

العوامل الجغرافية:

تتشابه العوامل الجغرافية في كلا الدولتين حيث أنهما دول مفككة ومقسمة إلى دويلات. فكانت إيطاليا مقسمة إلى أربع أقسام رئيسية ممالك ودوقيات وبابوية تخضع بعضها لحكم مباشر من النمسا وبعضها الأخر للبابوية مع وجود الحامية الفرنسية. أما ألمانيا فتتكون من ثمانية وثلاثين ولاية بعضها ولايات كبيرة وأخرى صغيرة وكان يحكم بعضها النظام الملكي الاستبدادي الخاضع لحكم النمسا والبعض الآخر دوقيات وحكم ملكي دستوري بالإضافة إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

العوامل الاجتماعية:

نجد أن الدولتين تتفقان في ناحية اللغة والعرق، غير أنه في إيطاليا كانت تجمعهم الرابطة الدينية وأما في ألمانيا وكما جاء في اجتماع فرنكفورت كانت عقائدهم الدينية مختلفة.

العوامل الثقافية:

إن العوامل الثقافية في كلا الدولتين لعبت دوراً نفسياً في إثارة عواطف الشعب من خلال القصائد الشعرية والمسرحيات الغنائية ودور المنظرين والفلاسفة أمثال هيجل. إلا أن العوامل الثقافية لا يمكن أن تحقق الوحدة بدون النواحي السياسية والقوة العسكرية، وبذلك تعتبر العوامل الثقافية عوامل ثانوية.

العوامل الاقتصادية:

يتبين أن العامل الاقتصادي مشترك بين الدولتين بل يعتبر أحد أهم الركائز الأساسية في تحقيق الوحدة. ففي إيطاليا كانت العملة والموازين والمقاييس مختلفة وكانت هناك دول غنية ودول فقيرة بالإضافة إلى الضرائب الباهظة وكانت كل ولاية تحتاج إلى الانفتاح مع الولايات الأخرى لتصريف بضائعها، فقام مؤتمر العلوم التطبيقية الذي نادى بالوحدة الاقتصادية بين الولايات الإيطالية. كذلك الحال في ألمانيا التي كانت مناطقها مقسمة إلى عدة مناطق جمركية وكل منطقة لها ضرائبها الجمركية وبالتالي فقد نشأ الاتحاد الجمركي الألماني (الزولفرين) الذي وحد بروسيا داخلياً وبذلك أدرك المسؤولين أن الوحدة الاقتصادية هي الأساس الذي يؤدي إلى الوحدة السياسية.

دور الجمعيات والجامعات في تحقيق الوحدة:

قامت في إيطاليا ثلاث جمعيات سرية وهي البعث والكاربوناري وإيطاليا الفتاة ونشأت بسبب سياسة النمسا الاستبدادية واعتمدت على إزالة الفوارق بين الشعب في مختلف الولايات وكان من أبرز روادها مازيني وغاريبادي والذي ساهم مع كافور في تحقيق الوحدة. غير أن هذه الجمعيات اعتمدت على إثارة النواحي العاطفية للشعب ولم يكن هناك أي نظام سياسي مخطط لعمل الجمعيات، وبالرغم من فشلها إلا أنها قامت بثورات في الولايات الإيطالية ضد الحكم الأجنبي. أما في ألمانيا فبرز دور الجامعات المحدود في إثارة طلاب وأساتذة الجامعات ولم يكن لديهم نظرية سياسة وكانت أهم مطالبهم تكمن في تحرير ألمانيا من النمسا.

الثورات

لم تستفيد إيطاليا من ثورات ١٨٤٨ في تحقيق الوحدة إذ قامت تلك الثورات على أسس غير منظمة ولم يكن هناك تخطيط سياسي أو قوة عسكرية منظمة لمواجهة النمسا وبالتالي تمكنت النمسا من القضاء عليها في وقت وجيز. أما ألمانيا استطاعت من توجيه الثورات إلى تحقيق الوحدة في اجتماع فرانكفورت الذي حضره ممثلين من جميع الولايات الألمانية المختلفة. وبالرغم من اختلاف ميولهم وعقائدهم إلا أنهم وحدوا كلمتهم في تحقيق الوحدة حتى وإن كان هذا الاجتماع لمرة واحدة إلا أنه يعتبر اللبنة الأساسية في تحقيق الوحدة حيث جمع الألمان في مكان واحد وهو أمر في غاية الصعوبة.

سردينيا وبروسيا:

يتضح أن كلاً من سردينيا وبروسيا تحملا الجانب الأكبر في تحقيق الوحدة. فرأت سردينيا بقيادة ملكها فيكتور عماونويل ورئيس وزرائها كافور أنها الأقدر على تحقيق الوحدة الإيطالية، وفي ألمانيا برزت بروسيا الدولة الأقوى بقيادة وليم الأول ورئيس الوزراء بسمارك وما تملكه من جيش قوي بقيادة الجنرال مولتكه.

السياسة والقوة:

اعتمد كافور على مبدأ السياسة في تحقيق الوحدة الإيطالية إذ أنه لا يملك جيش قوى مقارنة بألمانيا. ويمكن القول إن السياسة شكلت الهاجس الأكبر لكافور نتيجة لما حدث للجمعيات السرية من تخبطات لعدم وجود نظام سياسي مدروس يقوم عليه عمل الجمعيات. وقد بدا واضحاً من عمل كافور في تفعيله للسياسة الخارجية بمشاركته الدول الأوروبية في حرب القرم وكذلك مشاركته في القضايا الأوروبية في مؤتمر الصلح لإيصال صوت إيطاليا للدول الكبرى. ثم اتجه كافور إلى الاستعانة بدولة أجنبية (فرنسا) مستغلاً علاقته القوية بنابليون ورغبة نابليون في مساعدة إيطاليا. ومن الأعمال السياسية التي قام بها كافور عقد التحالف مع فرنسا وتخليه عن بعض الأراضي الإيطالية (سافواي ونيس) لفرنسا مقابل الحصول على الدعم العسكري. ويتضح أن فرنسا غلبت مصالحها على المبادئ حيث أنهت الحرب مع النمسا دون أن تستكمل تحرير باقي الأراضي الإيطالية حرصاً على علاقتها المستقبلية بالنمسا. كذلك يمكن القول إن إيطاليا استفادة من بروسيا في استعادة البندقية أثناء الحرب البروسية النمساوية التي اهدتها فرنسا لإيطاليا. وبالتالي فإن إيطاليا لجأت أولاً إلى السياسة ثم استعانة بالقوة الأجنبية لتحرير أراضيها. أما ألمانيا فقد اعتمد بسمارك على القوة العسكرية بشكل مباشر لما تمتلكه ألمانيا من جيش قوي ومدرب على أحدث الطرق الحربية، فخاض بسمارك حربين متتاليتين مع النمسا أولاً ثم فرنسا. وقد استخدم بسمارك السياسة كعامل ثاني وذلك بتحييد الدول الأوروبية لضمان عدم مساعدتها للنمسا، كذلك استفاد من الحرب الإيطالية النمساوية من خلال المعاهدة مع إيطاليا في شغلها إيطاليا لثلث جيش النمسا، كما أنه لم يضحي بالأراضي الألمانية بل أعطى وعوداً مستقبلية لفرنسا في حالة النصر على أن يعطيها بلجيكا ولوكسمبورغ، واستخدم هذه الوعود في صالحه بعد أن أعلن في أوروبا طلب نابليون لبلجيكا ولوكسمبورغ. وبذلك يتضح أن الوحدة الإيطالية لم

تتحقق إلا بمساعدة فرنسا كدولة أجنبية أما ألمانيا فجاءت الوحدة عن طرق القوة وليست بمساعدة خارجية.

الخاتمة وأهم نتائج البحث:

عرض البحث أهم الأحداث السياسية للوحدتين الإيطالية والألمانية وما صاحبها من عوامل ومسببات وظهور الحركات الثورية. واتضح أن الوحدتين لم تقم إلا بوجود شخصيات سياسية منظمة مثل كافور ومازيني وغلرلييادي بمساعدة الملك فيكتور عمانويل والبابا بيوس التاسع. وقد اعتمدت الوحدة الإيطالية على كافور بشكل كبير والذي اتخذ من الحنكة والدهاء السياسي كأحد أهم العوامل الأساسية في تحقيق الوحدة ومن ثم لجأ للاستعانة بالجانب العسكري الفرنسي في الحرب ضد النمسا. أما ألمانيا فقد برز فيها بسمارك والملك وليم الأول وقائد الجيش مولتكه. واعتمدت الوحدة الألمانية على القوة العسكرية الألمانية ثم لجأ بسمارك للأمور السياسية في تحييد الدول الأوروبية. ويمكن القول إن الوحدة الاقتصادية في كلا الدولتين برزت كأحد أهم العوامل الرئيسية التي أدت إلى الوحدة السياسية. ففي إيطاليا برز مؤتمر العلوم التطبيقية وفي ألمانيا الاتحاد الجمركي (الزولفرين) والتي نادت بالوحدة الاقتصادية في جميع الولايات لتفادي العوائق المالية والجمركية ولتحقيق الانفتاح الاقتصادي بين الولايات المختلفة. وأخيراً كانت الوحدة الإيطالية في ١٨٦٦ م وتمت بصفة نهائية في ١٨٧٠م عندما سحبت فرنسا جنودها من روما بعد هزيمتها في سيدان، أما في ألمانيا فتمت في ١٨٧٠ م بقوتها وليس بمساعدة خارجية.

الهوامش:

[١] نوار، عبد العزيز سليمان. نعني، عبد المجيد. (١٩٧٣). التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية. بيروت: دار النهضة العربية. ص٧٤-٧٧.

[٢] البطريق، عبد الحميد. (١٩٧٤). التيارات السياسية المعاصرة. (ط.٣). بيروت: دار النهضة العربية. ص٢١.

[٣] تسن، فرغلي علي. (٢٠٠٢). تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر. (ط.١). الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. ص١١٩-١٢٠.

[٤] نوار، مرجع سابق، ص٢٤٥-٢٤٦.

[٥] أبو علية، عبد الفتاح حسن. ياغي، إسماعيل أحمد. (٢٠٠٤). تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر. (ط.٣). الرياض: دار المريخ للنشر. ص٢٩٦-٢٩٧.

[٦] أبو علية، ياغي، مرجع سابق ص ٢٩٨.

[٧] تسن، مرجع سابق، ص١٢١.

[٨] أباظة، فاروق عثمان. (١٩٩٨). دراسات في تاريخ أوروبا المعاصر. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ص ٧٧-٧٩.

[٩] نوار، نعني، مرجع سابق، ص٢٢٠-٢٢١.

[١٠] عمر، عبد العزيز عمر. (١٩٩٧). أوروبا ١٨١٥-١٩١٩. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ١٧٠-١٧١.

[١١] أبو علية، الياغي، مرجع سابق، ص٣٠٠-٣٠١.

[١٢] عمر، مرجع سابق، ص١٧٤-١٧٦.

[١٣] نوار، نعني، مرجع سابق، ص٢٢١.

[١٤] راشد، زينب عصمت. (٢٠٠٥). تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر. القاهرة: دار الفكر العربي. ص٢٩٤-٢٩٩.

[١٥] نوار، نعني، مرجع سابق، ص٢٤٥-٢٤٧.

[١٦] أبو خمسين، منصور. (١٩٨٧). كافور. مجلة عالم الفكر. (ط.١). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. (١). ص٢٤٦.

[١٧] نوار، نعني، مرجع سابق، ص٢٤٨-٢٤٩.

[١٨] أباظة، مرجع سابق، ٨٤.

[١٩] أبو خمسين، مرجع سابق، ص ٢٥١.

[٢٠] نوار، نعني، ص٢٤٨-٢٥٣.

[٢١] أباظة، مرجع سابق، ص٨٥.

[٢٢] تسن، مرجع سابق، ص١٢٤-١٢٥.

[٢٣] راشد، مرجع سابق، ص٣٠٥-٣٠٧.

[٢٤] السروجي، محمد محمود. (د.ت). دراسات في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر. دار الثقافة العلمية. ص١٣٠-١٣١.

[٢٥] جرانت، أ.ج. تمبرلي، هارولد. (د.ت). أوروبا غي القرنين التاسع عشر والعشرين. (ط.٦). ترجمة أحمد عزت عبد الكريم. دار الحمامي للطباعة ص٤٦٠.

[٢٦] نوار، نعني، مرجع سابق، ص٢٥٩-٢٦٠.

[٢٧] نوار، نعني، مرجع سابق، ص٢٦١.

[٢٨] راشد، مرجع سابق، ض٣٠٢-٣٠٣.

[٢٩] نوار، نعني، مرجع سابق، ص٢٦٢-٢٦٣.

[٣٠] نوار، نعني، مرجع سابق، ص٢٦٣-٢٦٤.

[٣١] جرانت، تمبرلي، مرجع سابق، ص٤٦٥-٤٦٦.

[٣٢] تسن، مرجع سابق، ص١٣١.

[٣٣] البطريق، مرجع سابق، ص٢٣ .

[٣٤] هريدي، صلاح. (٢٠٠٢). تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. ص٢٣٥-٢٣٦.

[٣٥] السروجي، مرجع سابق، ص١٤٥-١٤٦.

[٣٦] راشد، مرجع سابق، ص٣٢٢-٣٢٣.

[٣٧] تسن، مرجع سابق، ص١٣١-١٣٢.

[٣٨] أبو علية، ياغي، مرجع سابق، ص٣١٩-٣٢٠.

[٣٩] تسن، مرجع سابق، ص١٣٣-١٣٤.

[٤٠] عمر، مرجع سابق، ص٢٤٣-٢٤٥.

[٤١] فيشر، ص٢٥٣.

[٤٢] تسن، مرجع سابق، ص١٣٤.

[٤٣] نوار، نعني، مرجع سابق، ص٢٢٦ .

[٤٤] أبو علية، ياغي، ص٣٢٢-٣٢٥.

[٤٥] نوار، نعني، مرجع سابق، ص٢٢٦-٢٢٨.

[٤٦] أباظة، مرجع سابق، ص٩٩.

[٤٧] هريدي، مرجع سابق، ص٢٣٧.

[٤٨] نوار، نعني، مرجع سابق، ص٢٧٢.

[٤٩] عمر، مرجع سابق، ٢٦٢-٢٦٣.

[٥٠] أباظة، مرجع سابق، ص١٠١.

[٥١] نوار، نعني، ص٢٧٦.

[٥٢] هريدي، مرجع سابق، ص٢٤٥.

[٥٣] فيشر، أ.ل. (١٩٥٨). تاريخ أوروبا في العصر الحديث: ١٧٩٨-١٩٥٠. ترجمة أحمد نجيب هاشم. وديع الضبع. (ط.٣). القاهرة: دار المعارف ص٢٧٥-٢٧٦.

[٥٤] أباظة، مرجع سابق، ص١٠٣.

[٥٥] فيشر، مرجع سابق، ص٢٨٦-٢٨٧.

[٥٦] أباظة، مرجع سابق، ص١٩٤.

[٥٧] راشد، مرجع سابق، ص٣٥٩-٣٦٠.

[٥٨] هريدي، مرجع سابق، ص٢٦٠-٢٦٢.

[٥٩] فيشر، مرجع سابق، ص٢٩٨-٢٩٩.

قائمة المراجع:

١. أباظة، فاروق عثمان. (١٩٩٨). *دراسات في تاريخ أوروبا المعاصر*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٢. أبو خمسين، منصور. (١٩٨٧). *كافور*. مجلة عالم الفكر. (ط.١) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٣. أبو علية، عبد الفتاح حسن. ياغي، إسماعيل أحمد. (٢٠٠٤). *تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر*. (ط.٣). الرياض: دار المريخ للنشر.

٤. البطريق، عبد الحميد. (١٩٧٤). *التيارات السياسية المعاصرة*. (ط.١). بيروت: دار النهضة العربية.

٥. تسن، فرغلي علي. (٢٠٠٢). *تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر*. (ط.١). الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

٦. جرانت، أ.ج. تمبرلي، هارولد. (د.ت). *أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين*. (ط. ٦). ترجمة أحمد عزت عبد الكريم. دار الحمامي للطباعة.

٧. راشد، زينب عصمت. (٢٠٠٥)."*تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر*". القاهرة: دار الفكر العربي.

٨. السروجي، محمد محمود. (د.ت). *دراسات في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر*. دار الثقافة العلمية.

٩. عمر، عبد العزيز عمر. (١٩٩٧). *أوروبا ١٨١٥-١٩١٩*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

١٠. فيشر،.أ.ل.(١٩٥٨). *تاريخ أوروبا في العصر الحديث:١٧٨٩-١٩٥٠*. ترجمة أحمد نجيب هاشم. وديع الضبع. (ط.٣). القاهرة: دار المعارف.

١١. نوار، عبد العزيز سليمان. نعني، عبد المجيد. (١٩٧٣). *التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية*. بيروت: دار النهضة العربية.

١٢. هريدي، صلاح. (٢٠٠٢). *تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر*. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.